مقالات

في المذاهب والفرق

جمع وإعداد

عبدالعزيز بن محمد بن علي العبداللطيف

دار الوطن للنشر

الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠

☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٢٠٦٨

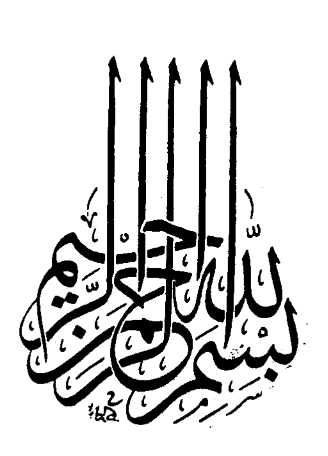
بسم الله الرحمن الرحيم

مقالات
في المذاهب والفرق

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه بحوث ومقالات متواضعة، وقد سبق نشر بعضها في مجلات إسلامية كالبيان والمجاهد، وهي دراسات موجزة تتحدث عن بعض المذاهب والفرق الإسلامية، كما تتضمن تعريفًا ببعض الكتب في الفرق، وقد رأيت جمعها في كتاب واحد، حتى تتحقق الفائدة، ويُعرف سبيلُ المجرمين. . فبضدها تتبين الأشياء كما يقول ابن القيم - يرحمه الله تعالى -: «العاملون بالله وكتابه ودينه، عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة إلى الهلاك

وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول ﷺ فأخرجهم من الظلمة الشـديدة إلى النـور التـام، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل إلى العلم، ومن الظلم إلى العدل، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفـرة وبغضـًا لما انتقلوا عنـه. .» أ هـ باختصار من كتابه الفوائد ص١٠٢.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، والله حسبنا ونعم الوكيل.

عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف

١ـ ملحوظات على الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة

إن دراسة المذاهب والفرق سواءً كانت إسلامية أو غير إسلامية، قديمًا أو حديثًا، من الأهمية والخطورة بمكان، خاصة في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه فرق الضلال، ونحل الابتداع فتعددت السبل، وكثرت المشتبهات، ولعل هذا يؤكد ضرورة الدراسة الجادة لهذه الفرق والنحل، ورضي الله عن عمر بن الخطاب الذي كان يقول: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لايعرف الجاهلية. وكان حذيفة بن اليمان يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ـ ﷺ ـ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»

ويأتي كتاب «**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**» والذي أصدرته الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض(*)، يأتي هذا الكتاب كخطوة إيجابية في مجال البناء

(*) نشر هذا المقال في مجلة البيان الإسلامية عدد ٢٣.

العلمي للشخصية الإسلامية الأصيلة، ولعله يسد ثغرة كبيرة في دراسة الواقع المعاصر، فشكر الله للقائمين على هذه الموسوعة، ونفع الله بجهودهم.

لقد تضمنت هذه الموسوعة (في طبعتها الأولى سنة ١٤٠٩هـ) دراسة ثمانية وخمسين مذهبًا، وكانت مرتبة على حسب الحروف الهجائية، وكان المنهج الذي سارت عليه دراسة كل فرقة أو دين على النحو التالي:

١ ـ التعريف.
٢ ـ التأسيس، وأبرز الشخصيات.
٣ ـ الأفكار والمعتقدات.
٤ ـ الجذور الفكرية والعقائدية.
٥ ـ الانتشار، ومواقع النفوذ.
٦ ـ مراجع للتوسع.

وقد لاقت هذه «الموسوعة» ـ فيما أعلم ـ رواجًا وانتشارًا في الأوساط الإسلامية، نظرًا للحاجة الملحة لدراسة مثل هذه الموضوعات، ولما تضمنته هذه الموسوعة من مادة علمية جيدة، تم عرضها بأسلوب ميسر وموجز.

ومن باب النصيحة، والاستجابة لطلب القائمين على

هذه الموسوعة ـ كما ذكروا في مقدمة الموسوعة ـ أحب أن أبدي بعض الآراء والملحوظات راجيًا من الله أن تنشرح لها صدور أصحاب هذه الموسوعة، وأن يرزق الجميع حسن القصد واتباع الحق.

ملحوظات عامة:

١ ـ تضم الموسوعة كمًا زاخرًا من الأديان والفرق الإسلامية وغير الإسلامية، والمذاهب الفكرية، والحركات الإصلاحية، وقد رتبت حسب حروف المعجم، والذي يظهر لي أن هذا الترتيب غير كاف، وأنه لا بد من ترتيب آخر حسب حقيقة هذه المذاهب وأفكارها، فمثلاً يجعل قسم خاص للأديان، وقسم آخر للفرق الإسلامية، وثالث للحركات الإصلاحية.. وهكذا.

٢ ـ جاء في مقدمة الموسوعة (ص ٩) أن دراسة هذه المذاهب مبني على الموضوعية والإنصاف.. لكن الالتزام بالموضوعية لا ينافي النقد والمناقشة التي تنطلق من باب إيضاح الحق وتصحيح الأخطاء، ومن ثم فلا بد من نقد هذه المذاهب ومناقشتها ولو على سبيل الإيجاز والاختصار، فأرى

ضرورة إضافة نقطة هامة في منهج دراسة هذه المذاهب وهي: بعنوان التقويم، أو النقد لذلك المذهب[1].

٣ ـ هناك بعض المصطلحات التي لا بد من تحديدها، وتعريفها لغة وإصطلاحًا، مثل: كلمة الدين، والمذهب، والملة، والنحلة..

٤ ـ عرّفت الموسوعة بالكثير من المذاهب والفرق، ولكنها لم توضّح ابتداء أصحاب المنهج الإسلامي الأصيل، وهم ـ بلا شك ـ أهل السنة والجماعة.

فكان من المناسب جدًا بيان منهج أهل السنة، وذكر خصائصهم وصفاتهم، وتوضيح منهجهم في التلقي، والعقيدة والسلوك وغيرها، ولا شك أن في هذا تعريفًا بالمنهج الأصيل ودعوة إليه، كما أن فيه تحديدًا للمنطلق الصحيح في تقويم المذاهب الأخرى، وأما ما تضمنته الموسوعة من حركات إصلاحية سلفية كدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

(١) أفردت الموسوعة بعض المآخذ والانتقادات على جماعة التبليغ (ص١١٩)، وحزب التحرير (ص١٣٨) والحركة المهدية (ص٤٧٠)، فالمطلوب الاستمرار في النقد والتقويم مع البقية، فبالنقد الصادق المؤدب يتم تصحيح المسار، والاستفادة من الأخطاء.

ـ يرحمه الله ـ، فهي بمثابة التجديد لمذهب أهل السنة.

ولعل أصحاب الموسوعة يتنبهون لهذا، خاصة إذا علمنا أن أول أهداف الندوة العالمية هو: خدمة الفكر الإسلامي الصحيح على أساس من التوحيد الخالص.

٥ ـ جاء في مقدمة الموسوعة أنها توخت الحركات التي لها وجود واقعي ملموس في عالم اليوم، لكن ـ كما هو معلوم ـ أن الأفكار لا تموت، ولكل قوم وارث، فالمعتزلة مثلاً لم تذكر ضمن الموسوعة.. ومع ذلك فإن فكر المعتزلة لا يزال قائمًا موجودًا[١]، وكذلك نجد الموسوعة لا تذكر الخوارج باستثناء الإباضية، مع أن فكر الخوارج الغالي لا يزال موجودًا، وما خبر جماعة شكري مصطفى في مصر عنا ببعيد[٢]، بل إن فكر الجبرية (القائلين بأن الإنسان مجبور على فعله فلا اختيار

---

(١) انظر مثلاً كتاب: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي، وكتاب المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبدة وطارق عبدالحليم، وكتاب العصريون معتزلة اليوم ليوسف كمال.

(٢) انظر كتاب الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو لمحمد سرور بن نايف زين العابدين.

له) وكذلك فكر القدرية النفاة (القائلين بأن الإنسان يخلق فعـل نفسـه) لا يزال موجـودًا وظـاهرًا[1]، وأيضًا فمذهب المرجئة له رواج وانتشار، زاد من امتداده تهاون المسلمين، وضعف تمسكهم بشعائر دينهم، وانتشار التصوف، ووجود مذهب الأشاعرة ـ وهم مرجئة في باب الإيمان ـ وغير ذلك من الأسباب.

والأعجب من هذا كله أن أصحاب الموسوعة لم يتحدثوا عن مذهب الأشاعرة والماتريدية!! ولا أظن عارفًا مهما قلّت معـرفتـه وثقـافتـه يجهـل وجـود وانتشار المذهب الأشعري والمـاتـريدي، ومن ثم فلا يتصـور أن مذاهب الأشـاعـرة والماتريدية «قد اندثرت، وعفى عليها الزمن، وتجاوزتها ذاكرة التـاريخ»[2]، فهاهم الأشاعرة والماتريدية بكتبهم وعلمائهم ومفكريهم ومؤسساتهم التعليمية وغيرها قد ملأوا واقعًا كبيرًا يراه كل صاحب عينين.

٦ ـ عند ذكر «مراجع للتوسع».. لاحظت على الموسوعة

---

(١) انظر كتاب حرية الإنسان في الفكر الإسلامي، د. فاروق الدسوقي.

(٢) الموسوعة الميسرة / ٩.

في دراستها لكثير من المذاهب والأديان، أنها لا تميز بين المراجع المقررة والمؤيدة لمذهب ما [٣] وبين المراجع الناقدة لذلك المذهب، وبين المراجع التي تعرض ذلك المذهب دون نقد أو تأييد، فحبذا لو يراعى هذا الأمر، كما يلاحظ عدم ذكر مراجع مهمة ومستوفية، مع أنها مطبوعة ومنتشرة، وفي نفس الوقت تذكر بعض الجرائد والمجلات غير المتخصصة ضمن مراجع للتوسع.

٧ ـ أقترح تعديلًا طفيفًا على عنوان الموسوعة وذلك بإضافة «الحركات» فيكون العنوان كالتالي: «الموسوعة الميسرة في الأديان والحركات والمذاهب المعاصرة».

والداعي لهذا الاقتراح وجود بعض الحركات الإصلاحية في الموسوعة: كحركة الإخوان، والجماعة الإسلامية في الهند

---

(٣) بعض الفرق والمذاهب في الموسوعة فقرة عن أهم كتبهم وهم الدروز (ص٢٢٦)، الطاوية (ص٣٦٠)، المورمون (ص٤٧٨)، النصرانية (ص٥٠١)، الهندوسية (ص٥٣٢)، اليهودية (ص٥٦٩).
وهذه فقرة مفيدة جدًا فياحبذا لو استمر هذا المنهج مع بقية الفرق التي لها كتب معتمدة.

والباكستان، وهي بلا شك ليست أديانًا جديدة، ولا مذاهب فكرية مستقلة، وأيضًا يمكن إضافة بعض الحركات الأخرى المستقلة: كالجبهة الإسلامية القومية في السودان، وكحركة الاتجاه الإسلامي في تونس، فلهذه الحركات المحلية ما يميزها عن غيرها مما يعطي مبررًا للتعريف بها، ومن الحركات أيضًا: حركة الجهاد، وجماعة أنصار السنة وأهل الحديث.

وهناك بعض المنظمات الهامة: كمنظمة التحرير الفلسطينية، وحركة أمل الشيعية، والجبهة الشعبية الأريترية، والجبهة الشعبية لتحرير السودان.. الخ.

بل يمكن أن يقال: ما المانع من التعريف ببعض الأحزاب المحلية المختلفة، كالحزب الجمهوري، والحزب الديمقراطي، وحزب الليكود، وحزب العمل، والحزب الشيوعي المصري والتونسي.. الخ.؟

فكرة الموسوعة - فيما يظهر لي - لا تمنع من التعريف بما ذكرت، لا سيما مع الوجود الواقعي المؤثر لتلك الحركات أو الأحزاب والمنظمات، ومع الأهمية القصوى للتعريف بها وبأهدافها.

٨ - هناك بعض التداخل والتشابه والترابط بين بعض

المذاهب والاتجاهات، كأن يكون هذا المذهب فرعًا عن آخر أو جزءاً منه، فعند ذلك لا داعي للفصل بينهما، وإليك بيان ذلك:

أ - الإسماعيلية، الحشاشون، الدروز، القرامطة، النصيرية: فكل هذه المذاهب تدخل تحت الباطنية، فمن الأفضل وضعها في مكان واحد تحت عنوان: الباطنية، ثم التحدث عن كل واحدة حسب ما هو موجود في الموسوعة، ويدخل تحت الباطنية، ويحتاج إلى كلام مستقل: البهرة والآغاخانية.. الخ.

ب - الصوفية، التيجانية: فالتيجانية تدخل تحت مسمى الصوفية، فمن الأفضل وضع الصوفية ثم الكلام عن الطرق الصوفية في مكان واحد: كالقادرية والرفاعية والنقشبندية والتيجانية وغيرها.

ج - التغريب، العلمانية: لا فرق بينهما فالعلمانية أصل نشأتها في الغرب، ومن يحاول نشرها في البلاد الإسلامية، يسمى من دعاة التغريب أو العلمانية، فكل داعية للتغريب هو داعية للعلمانية، والعكس صحيح.

د - النصرانية، التنصير، المارونية: فكل ذلك يمكن أن

يدخـــل تحت مســمــى النصرانية، ثم يشـــار إلى مذاهب النصرانية: كالمـارونية والكـاثوليك والبروتستانت.. الخ. والتنصير هو الدعوة إلى النصرانية.

هـ ـ الماسـونية، الـروتـاري، الليونز: فمن المعلوم أن الروتاري والليونز من مراكز الدعوة إلى الماسونية فلا داعي للفصل بينهما.

و ـ اليهودية، الصهيونية، يهود الدونمة.

ز ـ القومية العربية، البعث العربي الاشتراكي.

ملحوظات جزئية:

١ ـ ص ١٦/ س٩ ـ ١٦، عند ذكر معتقد الإباضية في أسماء الله وصفاته، يلاحظ على الموسوعة أنها عرضت توحيد الإباضية بعبارة توهم الموافقة والتأييد!! مع أن من المعلوم أن للإباضية تعطيلًا في باب الصفات[1].

٢ ـ ص ١٧/س ١٢، ذكرت الموسوعة معتقد الإباضية

---

(١) انـظر مثـلًا نفيهم لرؤية الله في اليوم الآخر من أحد كتبهم: أصـدق المنـاهج في تمييز إباضية من الخوارج، لسالم بن حمود الإباضي، ص٢٧.

في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا، ولكنها لم تذكر معتقدهم في الحكم على العاصي في الآخرة. . وهم يعتقدون تخليده في النار[2] - موافقة لبقية الخوارج والوعيدية عمومًا - كما أن الموسوعة ذكرت معتقد أهل السنة في المسألة بشيء من القصور (انظر الموسوعة ص ١٧/ س١٤، ١٥) فأهل الكبائر تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبهم بعدله، وإن شاء غفر لهم برحمته، فليس جميع العصاة يدخلون في النار تطهيرًا كما هو في الموسوعة.

٣ - ص١٨، عند ذكر الجذور العقائدية للإباضية، قالت الموسوعة: «الإباضيون يعتمدون على القرآن والسنة» فأقول: هل هم بالفعل يعتمدون على نصوص الوحيين؟ وما معنى هذا «الاعتماد»؟ فكل يدعي وصلاً بليلي، ولا أدري لِمَ لَم تذكر الموسوعة مسند الإباضية «المقدس» أعني مسند الربيع بن حبيب، الذي يعتبرونه أصح كتاب بعد القرآن؟ كان الأجدر التعريف بهذا المسند «المنحول» وتقويمه.

٤ - ص٧٣/س١٠، جاء في الموسوعة: «تصنف هذه الفرقة [البريلوية] من حيث الأصل ضمن جماعة السنة

---

(١) أنظر الكتاب السابق: أصدق المناهج، ص ٢٧، ص ٣٤، ٣٥.

الملتزمين بالمذهب الحنفي، ويبدو أن هذا التصنيف يحتاج إلى إعادة نظر، فهل يقال عن البريلوية: أنهم من جماعة السنة ولهم من الاعتقادات الباطلة ما قد يخرجهم عن الملة فضلاً عن السنة؟ (!).

٥ ـ ص٢٦/ س١٦، تقول الموسوعة عن التيجانيين: «من حيث الأصل هم مؤمنون بالله ـ سبحانه وتعالى ـ» فأقول: صدق الله حيث يقول: ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ [يوسف/١٠٦] فكيف يقال عن التيجانيين: أنهم مؤمنون بالله وبإطلاق مع اعتقادهم بوحدة الوجود، ودعوى علم الغيب وتفضيل صلاة الفاتح على كتاب الله؟

٦ ـ ص١٣٦/ س١٥، تقول الموسوعة عن حزب التحرير: «لا تخرج دعوتهم عن أن تكون واحدة من الجماعات الإسلامية التي تحمل فكر أهل السنة والجماعة».

لا أدري ما هذا الفكر السلفي الذي يحمله هذا الحزب المتحرر مع شناعة أخطائهم وعظم انحرافهم[2]؟! نسأل

(١) انظر معتقداتهم في الموسوعة الميسرة، ص٧٠ ـ ٧٣.

(٢) انظر بعض هذه المآخذ كما ذكرت في الموسوعة الميسرة، ص١٣٨ ـ ١٤٠.

الله ـ عز وجل ـ الهداية للجميع.

٧ ـ ص٢٥٧/ س١١، تقول الموسوعة عن الزيدية بأنها: «تتصف بالاعتدال والقصد» فأقول: هل يمكن أن توصف الزيدية بالاعتدال والقصد، وأصول الزيدية هي أصول المعتزلة الخمسة؟ فأين الاعتدال والقصد ممن يعطل الصفات الإلهية، وينفي القدر، ويحكم على العاصي من عصاة الموحدين بالتخليد في النار؟

٨ ـ ص٢٥٧/ س١٨، س٢٣، بالنسبة لدعوى أن زيد بن علي تتلمذ على واصل بن عطاء، هناك من ينفي هذا التتلمذ وينكره[١]، وأيضًا ذكرت الموسوعة أن من تأليف زيد بن علي كتاب «المجموع» مع أن هناك قول قوي بعدم ثبوت نسبة «المجموع» إلى زيد[٢].

٩ ـ ص٢٥٩/ س٢٣، جاء في الموسوعة عن الزيدية بأنهم: «يمليون إلى الاعتزال، والجبر والاختيار» فكيف يجتمعان؟ جبر واختيار! مع أن الزيدية يغلب عليها نفي القدر تأثرًا بالمعتزلة، وفي نفس الصفحة/ ص٢٣ ـ ٢٥ في

(١ ـ٢) انظر كتاب الإمام زيد بن علي المفترى عليه لشريف الخطيب.

هذه السطور خلط بين رأي زيد، وبين رأي الزيدية عمومًا، فإن زيدًا يقول: بأن العاصي لا يخلد في النار، بينما الزيدية تقول: بتخليده كالوعيدية.

١٠ - ص٢٧٤، ذكرتم بعض تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وأنصار دعوته، وهناك من تلاميذ الشيخ وأنصار دعوته ممن لهم نتاج علمي ظاهر، وآثار علمية بارزة، ومع ذلك لم يذكروا مثل: الشيخ حمد بن معمر، وعبدالله أبي بطين، وسليمان بن سحمان، ونحوهم، ومن أنصار دعوته خارج الجزيرة: محمد بشير السهسواني، ومحمود الألوسي، ومحمد رشيد رضا، وغيرهم.

١١ - ص٢٧٨، عند الحديث عن انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأرى أن الموسوعة يمكن أن تعطي أكثر تفصيلًا عن آثار هذه الدعوة دون سطور مقتضبة، ولعلها تعيد النظر في ذلك، فتوضح آثار هذه الدعوة السلفية علمًا وعملًا في واقع الأمة الإسلامية، وقد ذكرتم أن هذه الدعوة السلفية أثرت على المهدية والسنوسية والأفغاني ومحمد عبده، فهل على ما ذكرتم دليل وبينة؟

١٢ - ص٢٩٩، جاء في الموسوعة عند تعريف الشيعة الاثني

عشرية «هم تلك الفرقة من المسلمين الذين تمسكوا بحق عليّ في وراثة الخلافة».

هذا كلام مجمل وفيه غموض، وتشم منه رائحة المداراة، كان ينبغي أن تذكر أصول عقيدة هؤلاء التي من أنكر واحدًا منها اعتبر كافرًا، وكذلك رأيهم في مخالفيهم الرئيسيين: أهل السنة، ورأيهم كذلك في القرآن، والصحابة.

١٣ ـ ص٣٥٢/ السطر الأخير وما قبله: حيث تقول الموسوعة: «لقد عملت الطرق الصوفية على نشر الإسلام في كثير من الأماكن» ثم تقول الموسوعة: «لقد اعتمد الحكام علىٰ أقطاب الصوفية في التعبئة الروحية للجهاد، ولصد غارات الكفار، ومن هؤلاء الأقطاب أحمد البدوي».

وأقول: إن التصوف أعظم معول هدم وتخدير ينخر في جسد الأمة الإسلامية، بل ربما كانت سببًا للصد عن سبيل الله، وأيضًا متى كانت الصوفية «تعبئة روحية للجهاد»؟ لقد كان منهم من يخذل من شأن الجهاد ويكتفي بجهاده الأكبر كما يزعمون (جهاد النفس)، ومن ثم فإن الاستعمار الأجنبي كان يشجع الطرق الصوفية ويبرزها[1].

---

(١) انظر كتاب أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على =

ومن المحزن أن يذكر البدوي، فيوصف بأنه «قطب» محرك للجهاد، ولصد غارات الكفار..

إن أحمد البدوي داعية استغل التصوف ستارًا لارجاع الحكم الرافضي الذي انقرض بزوال الدولة العبيدية في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي، ولكن فشل في ذلك ولله الحمد، بل يذكر عنه: أنه كان لا يشهد الصلوات الخمس!![2].

ولعل الموسوعة تعيد النظر في دراسة الصوفية.. فتذكر مراحل تطور التصوف من تشدد ورهبنة، إلى رموز وغموض وابتداع، ثم إلى كفر واتحاد وزندقة، ومن الواجب ذكر أخطائهم وسوءاتهم وما أكثرها.

وفي ختام هذا المقال أحب أن أذكر بأن الموسوعة تحتاج إلى مزيد دراسة وتقويم، وكفى المرء نبلاً أن تعد معايبه، وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

= الطوائف الضالة للدكتور علي بن نفيع العلياني، وكتاب: رسالة الشرك ومظاهره، لمبارك الميلي.

(٢) انظر كتاب السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة، د. أحمد صبحي منصور.

٢ - الزندقة معانيها وآثارها

فإن من المـوضـوعات التي تستدعي اهتمام الباحثين في مجالات العقيدة والفقــه والتــاريخ : موضـــوع الـزنـدقـة «والزنادقة» ، وبين يديك - أخي القارىء - مقالة موجزة عن هذا الموضوع ، حيث سأتحدث عنه من خلال العناصر التالية :

١ - أهمية دراسة هذا الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع لعدة أمور:

منها : أن فكرة الزندقة والإلحاد موجودة منذ القدم ، حيث كانت معـروفـة عند قدماء اليونان والهنود والفرس ، كما أن الزندقة موجودة وظاهرة في العصر الحديث .

وأمـر آخـر: وهـو أن الـزنـادقـة خلّفـوا - عبر العصور الإسـلامية - ثورات سياسية وأعـمال تخريبية ، والأدهى من

ذلك أنهم أثّروا تأثيراً بالغًا على معتقدات بعض الفرق الإسلامية، بل نجد أن بعض الفرق قد «تزندقت» كما سيأتي بيانه.

وأمر ثالث: يؤكد أهمية ذلك وهو أن المستشرقين قد اعتنوا عناية كبيرة بهذا الموضوع، فكتبوا دراسات مستقلة عن بعض الزنادقة، ولكنهم - كما هي عادتهم - دافعوا عن هؤلاء الزنادقة وعن آرائهم، ولمّعوهم وأثنوا عليهم خيراً[1]، ولا ننتظر من هؤلاء المستشرقين أكثر من ذلك، وقد أشربت قلوب أكثرهم حبّ كل ما يناهض الإسلام الصحيح الأصيل، ولا أنسى أن أذكر أن البعض قد كتب عن الزندقة وانتقدها، ولكن من أجل الدفاع عن القومية العربية، حيث أن الزندقة وثيقة الصلة بالشعوبية المناهضة للقومية العربية.

٢ - أصل هذه الكلمة:

يقول ابن تيمية - رحمه الله - عن لفظ الزندقة: «هو لفظ

---

(١) أنظر كتاب من تاريخ الإلحاد في الإسلام لعبدالرحمن بدوي / ودائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ٤٤٠ - ٤٤٦.

أعجمي معرب، أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام، وعُرِّب[1].

ويقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ عن أصل الزنادقة «أهل الزنادقة أتباع دَيْصان، ثم مانّي، ثم مزدَك، وحاصل مقالتهم بأن النور والظلمة قديمان، وأنهما امتزجا فحدث العالم كله منهما، فمن كان من أهل الشر فهو من الظلمة، ومن كان من أهل الخير فهو من النور» الفتح ١٢/ ٢٧٠، ٢٧١ خص.

ويذكر بعض المؤرخين: أن زرادشت أتى بكتاب «البستاه»، فمن أعرض عنه، وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا زندي، فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس، وقالوا زنديق وعربوه.

وكما أشرت إلى أن الزندقة قد وجدت قبل الإسلام، وقد تمثلت في فرق متعددة منها: المانوية، والمزدكية

---

(١) بغية المرتاد (السبعينية) ص٣٣٨/ وانظر رسالة في تحقيق لفظ الزنديق لابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) ص٤٧ والتي نشرت بتحقيق د. حسين محفوظ في أحد أعداد مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد.

والسوفسطائية، والدهرية.

وقد عدّ الإمام الملطي ـ رحمه الله ـ الزنادقة أول الطوائف افتراقا، ثم ذكر فرق الزنادقة فقال: «أول من افترق من هذه المذاهب: الزنادقة، وهم خمس فرق المعطلة، والمانوية، والمزدكية، والعَبدكية، والروحانية»/ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٩١.

وقد ذكر الجاحظ: أن الزندقة فشّت في النصارى فقال: «ودينهم ـ يرحمك الله ـ يضاهي الزندقة، ويناسب في بعض الوجوه قول الدهرية، وهم من أسباب كل حيرة وشبهة، والدليل على ذلك أنا لم نر أهل ملة قط أكثر زندقة من النصارى، ولا أكثر متحيراً أو مترنحًا منهم. . / رسالة في الرد على النصارى ص١٧.

٣ ـ إطلاقات الزندقة ومعانيها في الإسلام:

أما عن إطلاقات هذا المصطلح فكما سبق أن ذكرت أن هذا المصطلح هو لفظ أعجمي أصلًا، وقد صار يستخدم ـ عند الإسلاميين ـ في معان متعددة. . فبعضهم يطلقه على الثنوية المجوس كما هو موجود في بعض معاجم اللغة العربية مثل تاج العروس (مادة ز ن ق، فصل الزاي من باب القاف)

ومختار الصحاح (مادة ز ن د ق) وغيرهما، وربما أطلق الزنديق على الدهري كما في لسان العرب (مادة زندق ١٠/١٤٧) وهناك من يطلقه على من لا يؤمن بالله واليوم الآخر كما ذكر ذلك ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/٢٤٦)، ونجد أن الفقهاء يطلقون الزنديق على المنافق، يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر، فالمراد به عندهم المنافق، الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر» السبعينية ص٣٣٨.

وكما يقول الحافظ ابن حجر: «ثم أطلق الاسم [الزنديق] على كل من أسرَّ الكفر وأظهر الإسلام، حتى قال مالك: الزندقة ما كان عليه المنافقون، وكذا أطلق جماعة من الفقهاء الشافعية وغيرهم أن الزنديق هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر». الفتح ١٢/٢٧١.

وبعض علماء السلف يطلقه على الجهمية، كما يفعل ذلك الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه «الرد على الجهمية» (ص٣٥٢) وفي كتابه «الرد على بشر المريّسي» (ص٤٧٥، ٥٦٣)، بل إن ابن الجوزي جعل الزنادقة ـ فرقة ـ من الجهمية (انظر تلبيس إبليس ص٣١)، وهناك من علماء

السلف من يصف المعتزلة بالزنادقة، كما ورد عن الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: علماء المعتزلة زنادقة (مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص١٥٨).

وقد يُرمىٰ صاحب المجون والفحش بالزندقة (انظر كتاب من تاريخ الإلحاد في الإسلام لعبدالرحمن بدوي ص٢٨، وكتاب الزندقة والزنادقة لعاطف شكري ص١٠٩).

وبهذا تدرك يا أخي القاريء تعدد معان وإطلاقات هذا المصطلح، ومن ثم فإنه يتعين تحديد المراد ممن اطلق هذا المصطلح، ولا أنسى أن أشير إلى أن هذا المصطلح «الزندقة» لا يوجد في القرآن، ولكن ورد في حديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ من حديث ابن عمر مرفوعا **«إنه سيكون في أمتي مسخ وقذف وهو في الزنديقية والقدرية»** رواه أحمد[1] (٢/ ١٣٧، ١٠٨).

٤ ـ عقائدهم:

أقول ـ وبإيجاز شديد ـ إن عقائد الزنادقة قد تضمنت كمّا

---

(١) ويبدو أن هذا الحديث قد غاب عن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عندما قال، فلفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي ـ ﷺ ـ بغية المرتاد (السبعينية) ص٣٧٨.

هائـلاً من صنـوف الكفر البواح، والردة الظاهرة: كقولهم بالحلول، وتأليه البشر، وتشبيه الله ـ تعالى ـ بخلقه، وإنكار النبوة أحياناً، وادعا النبوة أحيانا أخرى، والقول بالتناسخ وإنكـار القيامة والجنة والنار، واستحلال المحرمات وجحد الواجبات. . (أنظر توضيحًا لذلك على سبيل المثال: كتاب الفَـرق بين الفِرق. . لعبدالقاهر البغدادي في باب الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منه).

٥ ـ اثارهم:

خلّف الـزنادقة بطبيعة الحال آثارًا سيئة وعواقب وخيمة على الأمة المسلمة، فأشعلوا ثورات سياسية وأفسدوا البلاد والعباد، كما فعلت القرامطة والإسماعيلية والمقنعية وغيرهم من فرق الزنادقة.

كما أن بعض الفرق الإسلامية قد «تزندقت» وخرجت من دين الإسلام، كما هو الحال في غلاة الشيعة، واليزيدية من الخوارج، والخابطية من المعتزلة، والاتحادية من المتصوفة وغيرهم.

ولقد أورث الجهم بن صفوان فسادًا كبيرًا وشراً مستطيراً،

وقد كان من أسباب ضلال هذا الشخص وتضليله - فيما بعد - هو بسبب تأثره بإحدى طوائف الزنادقة (السمنية) كما أورد ذلك الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - في كتابه «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٦٥، ٦٦).

ويتحدث ابن الجوزي عن بعض مكائد الزنادقة، فقال - رحمه الله -: «وكم من زنديق في قلبه حقد على الإسلام خرج فبالغ واجتهد فزخرف دعاوى يلقى بها من يصحبه، وكان غور مقصده في الاعتقاد: الإنسلال من ربقة الدين، وفي العمل: نيل الملذات واستباحة المحظورات، فمنهم بابك الخرّمي حصل له مقصوده من اللذات، ولكن بعد أن قتل الناس وبالغ في الأذى، ثم القرامطة وصاحب الزنج الذي خرج - فاستغوى المماليك السودان، ووعدهم الملك فنهب وفتك وقتل وبالغ، وكانت عواقبهم في الدنيا أقبح العواقب».

ويورد ابن الجوزي بعض رؤوس الزنادقة فيقول: «من تأمل حال ابن الراوندي وجده من كبار الملاحدة وصنف كتاباً سماه «الدامغ» زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة، فسبحان من دمغه فأخذه في شرخ شبابه، وكان يعترض على القرآن

ويدعي عليه التناقض وعدم الفصاحة، وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه، فكيف بالألكن (الثقيل اللسان)، وأما أبو العلاء المعري فأشعاره ظاهرة الاتحاد، وكان يبالغ في عداوة الأنبياء، ولم يزل متخبطًا في تعثيره (سقوطه) خائفًا من القتل إلى أن مات بخسرانه» تلبيس إبليس ص١٢١، ١٢٢.

واعلم - عزيزي القارىء - أن للشيعة حظًا كبيرًا في ظهور الزندقة والفساد في بلاد المسلمين، فقد اتخذ الزنادقةُ الشيعةَ مطية ذلولاً في نشر مذهبهم، يقول ابن تيمية - رحمه الله - عن الشيعة: «ومنهم من أدخل على الدين من الفساد، ما لا يحصيه إلا رب العباد، فملاحدة الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم من الباطنية المنافقين من بابهم دخلوا، وأعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا، واستولوا بهم على بلاد الإسلام، وسبوا الحريم، وأخذوا الأموال، وسفكوا الدم الحرام، إذ كان أصل المذهب من إحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم في حياته عليّ أمير المؤمنين - رضي الله عنه -، فحرّق منهم طائفة..» منهاج السنة ١/١٠، ١١.

وقد اعترف أحد الزنادقة بأنهم يجعلون من التشيع ستارًا لمآربهم، «فلما قال شخص لزنديق - وقد خالطه وعرف مذهبه -: قد علمتُ أنكم لا ترجعون إلى دين الإسلام، ولا تعتقدونه، فما الذي حملكم على الترفض وانتحال حب عليّ؟ قال: - إذًا أصدقك أنا، إن أظهرنا رأينا الذي نعتقده رمينا بالكفر والزندقة، وقد وجدنا أقوامًا ينتحلون حب عليّ ويظهرونه، ثم يقعون بمن شاؤوا، ويعتقدون ما شاؤوا، ويقولون ما شاؤوا، فنُسبوا إلى الترفض والتشيع، فلم نر لمذهبنا أمرًا ألطف من انتحال حب هذا الرجل، ثم نقول ما شئنا، ونعتقد ما شئنا، ونقع بمن شئنا، فلأن يقال لنا: رافضة أو شيعة، أحب إلينا من أن يقال: زنادقة كفار، وما عليّ عندنا أحسن حالاً من غيره ممن نقع بهم»، وقد علّق الإمام الدارمي على هذه القصة بعد إيراده لها في كتابه «الرد على الجهمية» ص١٧٩ فقال «وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه، ولم يراوغ، وقد استبان ذلك من بعض كبرائهم وبصرائهم أنهم يستترون بالتشيع، يجعلونه تثبيًا لكلامهم وخبطهم وسلمًا وذريعة لاصطياد الضعفاء وأهل الغفلة».

٦ ـ من جهود الخلفاء في محاربة الزنادقة:

اجتهد الخلفاء في تتبع الزنادقة والقضاء عليهم واستئصالهم، حفاظًا على الدين وأهله.. فهذا عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يأمر بإحراق الزنادقة.. كما روى البخاري (انظر الفتح ١٢/٢٦٧)، واشتهر المهدي الخليفة العباسي بالعناية بذلك، فنجده يعيّن رجلاً يتولى أمور الزنادقة. ويقول ابن كثير في حوادث سنة ١٦٧هـ «وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبرًا بين يديه» البداية ١٠/١٤٩.

ووصّى المهديُّ ابنه موسى الهادي ـ الخليفة من بعده ـ بذلك، وقد أنفذ الهادي تلك الوصية، يقول ابن كثير في حوادث سنة ١٦٩هـ: «وسعى الهادي في تطلب الزنادقة من الآفاق، فقتل منهم طائفة كثيرة واقتدى في ذلك بأبيه» البداية ١٠/١٥٧.

ومما أورده ابن كثير في أخبار الزنادقة:

ـ «سنة ٣١١هـ أحرق المقتدر بالنار مائتين وأربعة أعدال من كتب الزنادقة، منها ما كان صنفه الحلاج وغيره، فسقط منها ذهب كثير كانت محلاة به» البداية ١١/١٤٨

- «سنة ٤٨٨هـ وفيها قُتِل أحمد بن خاقان صاحب سمرقند، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة، فخنق وولي مكان ابن عمه» البداية ١٢/ ١٤٩

- سنة ٧٢٦هـ وفي يوم الثلاثاء حادي وعشرين ربيع الأول ضربت عنق ناصر بن الشرف أبي الفضل الهيثي بسوق الخيل على كفره واستهانته بآيات الله وصحبته الزنادقة».

قال البرازلي: وربما زاد هذا المذكور المضروب العنق عليهم بالكفر والتلاعب بدين الإسلام والاستهانة بالنبوة والقرآن.

وحضر قتله العلماء والأكابر وأعيان الدولة، قال: وكان هذا الرجل قد حفظ التنبيه، وكان يقرأ في الختم بصوت حسن، وعنده نباهة وفهم، ثم إنه انسلخ من ذلك جميعه، وكان قتله عزًا للإسلام، وذلاً للزنادقة وأهل البدع. قلت [ابن كثير]: وقد شهدت قتله، وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية حاضرًا يومئذ، وقد أتاه وقرّعه على ما كان يصدر منه قبل قتله، ثم ضربت عنقه وأنا شاهد ذلك» البداية ١٤/ ١٢٢، ١٢٣.

أخي القارىء: ما أحوجنا في كل زمان إلى تحكيم شرع

الله ـ عز وجل ـ، ومن ذلك حد الردّة حتى يتم تطهير الأرض من دنس الملاحدة والزنادقة، خاصة في هذا الزمان الذي استفحل فيه الارتداد، وظهرت الزندقة في قوالب خادعة.

أسأل الله ـ عز وجل ـ أن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٣ ـ الشهرستاني وكتابه الملل والنحل(★)

في هذه الدراسة المختصرة، سأتحدث عن أحد الأعلام البارزين الذين كان لهم دور ظاهر في تدوين مقالات الفرق والمذاهب سواءً كانت إسلامية أو غير إسلامية، فكان كتابه موسوعة موجزة ومرتبة للكثير من الآراء والمعتقدات للفرق الإسلامية وغيرها.

هذا العلم هو أبوالفتح محمد بن عبدالكريم المعروف بالشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) وكتابه هو «الملل والنحل».

ولعل من المناسب أن أشير إلى أهمية دراسة شخصية الشهرستاني، وكتابه الملل والنحل، فالشهرستاني ـ فيما هو مشهور ومعلوم عند الكثير من الدارسين ـ أحد شيوخ الكلام، وواحد من علماء الأشاعرة، وله دراية وخبرة بمقالات الفرق والملل والنحل، ولكن هناك جوانب مهمة عن الشهرستاني قد تخفى على بعض الدارسين كاتهامه بالميل

(★) نشر هذا المقال في مجلة البيان عدد ٣٠.

إلى الباطنية، أو القول بتشيعه، ولعلنا نلقى بعض الضوء على هذه القضية.

وأما كتابه «الملل والنحل» فهو مرجع مشهور، ومصدر متداول بين أيدي الباحثين، وقد ترجم إلى عدة لغات، ومع ذلك فلا توجد دراسة علمية مطبوعة[1] - فيما أعلم - تتحدث عن منهج الشهرستاني في هذا الكتاب المهم، وتبين مصادره، وتوضح مزاياه، كما تذكر المآخذ عليه.

ولد الشهرستاني سنة ٤٧٩هـ ببلدة شهرستان في أقليم خراسان، وهو - كما يقول الذهبي - «شيخ أهل الكلام، والحكمة، وصاحب التصانيف»[2]، برع في الفقه والأصول، والكلام، تفقه على أحمد الخوافي، أخذ الأصول والكلام على أبي نصر بن القشيري، ودخل بغداد سنة ٥١٠هـ، وتوفي بمسقط رأسه سنة ٥٤٨هـ.

---

(١) توجد رسالة علمية في مصر عن الشهرستاني وآرائه الكلامية والفلسفية لسهير مختار، وهناك رسالة علمية سجلت أخيرًا بجامعة الإمام محمد بن سعود عن الشهرستاني ومنهجه في (الملل والنحل).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/ ٢٨٧.

ألّف الشهرستاني تصانيف كثيرة تصل إلى تسعة وعشرين كتابًا، منها المطبوع والمخطوط، والمفقود. ومن كتبه المطبوعة: الملل والنحل، ونهاية الإقدام في علم الكلام، ومصارعة الفلاسفة. ومن كتبه المخطوطة: رسالة في اعتراضات الشهرستاني على كلام ابن سيناء والمناهج في علم الكلام، وقصة يوسف عليه السلام[٣]، وغيرها.

ومن كتبه المفقودة: مناظرات مع الإسماعيلية، وتاريخ الحكماء وغيرهما[٤].

والآن ـ أخي القارىء ـ أنقل لك بعض أقوال أهل العلم الذين اتهموا الشهرستاني بالميل إلى الإسماعيلية الباطنية.

قال ابن السمعاني: كان [الشهرستاني] متهمًا بالميل إلى أهل القلاع ـ يعني الإسماعيلية ـ والدعوة إليهم، والنصرة لطاماتهم

(٣) وقد ذكرت د. سهير مختار هذه القصة في تحقيقها لكتاب مصارعة الفلاسفة لشهرستاني. فقالت: «وهي في شرح سورة يوسف، وهو شرح لطيف مع تسجيل بعض الروايات عن الصوفية».

(٤) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٨٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٢٨، وشذرات الذهب ٤/ ١٤٩، وانظر مقدمة كتاب مصارعة الفلاسفة بتحقيق د. سهير مختار.

وقال في التحبير: إنه متهم بالإلحاد، غال في التشيع.

وقال ابن أرسلان في «تاريخ خوارزم عن الشهرستاني: عالم كيِّس متفنن، ولولا ميله إلى أهل الإلحاد، وتخبطه لكان هو الإمام[٥].

ونَقَل صاحب شذرات الذهب عن كتابه «العبر» أنه اتهم بمذهب الباطنية[٦].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية شيئًا من ذلك، ولكن بصيغة «تمريضية» فقال ـ رحمه الله ـ: وقد قيل إنه صنف تفسيره «سورة يوسف» على مذهب الإسماعيلية: ملاحدة الشيعة[٧].

وفي المقابل نجد علماء ينفون هذه الدعوى عن الشهرستاني، فهذا السبكي يدافع عن الشهرستاني فيقول بعد أن ذكر أقوال من اتهم الشهرستاني بالميل إلى الباطنية:

---

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٨٧، ٢٨٨، وطبقات الشافعية للسبكي ٦/١٣.

(٦) شذرات الذهب ٤/١٤٩.

(٧) درء تعارض العقل والنقل ٥/١٧٣.

فأما (الذيل)[8] فلا شيء فيه من ذلك، وإنما ذلك في (التحبير)[8]، وما أدري من أين ذلك لابن السمعاني؟!

ويقع أن هذا دُس على ابن السمعاني في كتابه (التحبير) وإلا فلِمَ لم يذكره في (الذيل)»[9].

وينفي شيخ الإسلام - في موضع آخر - هذه التهمة عن الشهرستاني فيقول:

«يذكر (الشهرستاني) أشياء من كلام الإسماعيلية الباطنية، ويوجهه، ولهذا اتهمه بعض الناس بأنه من الإسماعيلية، وإن لم يكن الأمر كذلك»[10].

ومما يؤكد ذلك أن الشهرستاني صنف في ذكر فضائح الباطنية[11]، كما أن للشهرستاني صولات وجولات مع ابن سينا الفيلسوف الباطني، يقول ابن القيم:

«وصارع محمد الشهرستاني ابن سينا في كتاب سماه (المصارعة) أبطل فيه قوله بقدم العالم، وإنكار المعاد، ونفي

---

(٨) كتابا ابن السمعاني.

(٩) طبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٣٠.

(١٠) منهاج السنة ٦/٣٠٥.

(١١) درء تعارض العقل والنقل ٥/٨.

علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم»[١٢].

وإضافة إلى ذلك، فقد تحدث الشهرستاني عن الباطنية، وذكر شيئًا من مقالاتهم[١٣]، ولكن كان الواجب على الشهرستاني أن يكشف عن معتقدات الباطنية، ويبين إلحادهم وزندقتهم، وكيدهم لأهل الإسلام، كما فعل سلفه عبدالقاهر البغدادي في (الفرق بين الفرق)[١٤] وغيره.

ونقف وقفة يسيرة أمام هذه الأقوال المتعارضة، لنقول: إنه يمكن أن نعزو رمي واتهام الشهرستاني بالإسماعيلية إلى جملة أسباب تتعلق بشخصه، منها أن الشهرستاني ـ وللأسف ـ مع كثرة اطلاعه ومعرفته للمذاهب والفرق الإسلامية، فإنه كان جاهلًا بمذهب السلف الصالح، فلا

---

(١٢) إغاثة اللهفان ٢ / ٣٨١، وانظر مقدمة الشهرستاني لكتابه (مصارعة الفلاسفة)، ص١٦، وانظر كتابه نهاية الإقدام، ص٥، ص٢٣، كما أن كتاب (نهاية الإقدام) قد تضمن ردودًا على عموم الفلاسفة، والدهرية، والمعتزلة.

(١٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٩١ ـ ١٩٨، تحقيق محمد سيد كيلاني.

(١٤) انظر الفرق بين الفرق، ص٢٨١ ـ ٣١٢.

يعلم معتقد أهل الحديث، وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام في غير موضع، فقال:

«فالشهرستاني صنف الملل والنحل، وذكر فيها من مقالات الأمم ما شاء الله، والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه، ولم يذكره»[١٥].

ولقد ورثت هذه المعرفة الواسعة للمذاهب المختلفة صاحبنا ـ مع الجهل بمذهب السلف الصالح ـ حيرة واضطرابًا، عبر عنها بهذين البيتين من الشعر فقال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها
وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعًا كف حائر
على ذَقن أو قارعًا سن نادم[١٦]

وتتمثل هذه الحيرة وعدم الاستقرار على مذهب ما، ما نلاحظه في الشهرستاني من موافقة للأشاعرة، ومن ميل للإسماعيلية مرة أخرى، وإظهار للتشيع[١٧] مرة ثالثة، وربما

(١٥) درء تعارض العقل والنقل ٢/٣٠٧، ٩/٦٧، وانظر المنهاج ٥/٢٦٨، ٦/٣٠٣، ٣١٩.

(١٦) الملل والنحل ١/١٧٣.

(١٧) هناك من أصحاب المقالات من يفصل بين الإسماعيلية=

تأثر بفلسفة أو تصوف.

وسبب آخـر جعـل بعض العلماء يتهم الشهـرستـاني بالباطنية، وهو ما أشار إليه ابن حجر ـ رحمه الله ـ حيث قال معقبًا على ما ذكر من وقوع الشهرستاني في ذلك:

«لعله كان يبدو منه ذلك على طريق الجدل، أو كان قلبه أشرب محبة مقالتهم لكثرة نظره فيها، والله أعلم»[18].

إذن فإلحاح الشهرستاني وإمعانه في مناظرة الإسماعيلية، وكثـرة جداله معهم، ربما كان سببًا في رميه بالباطنية لتأثره بتلك المنـاظـرات، وقـد صرح الشهرستاني بكثرة مناظراته للإسـماعيلية فقـال: «وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة، فلم يتخطوا عن قولهم: أفنحتاج إليك؟ أو نسمع هذا منك؟ أو نتعلم عنك»[19].

وعلى كل فلا تزال هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من التوثيق والبحث، ولعـل الاطـلاع على الكتب الخطية للشهرستاني

= والشيعة، وهناك من يجعل الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة، كما يفعل الشهرستاني.

(١٨) لسان الميزان ٥/٢٦٤.

(١٩) الملل والنحل ١/١٩٧.

يعطي مزيدًا من المعلومات حول هذه المسألة.

وفي ختام الحديث عن شخصية الشهرستاني، لابد من الإشارة إلى ميل الشهرستاني إلى التشيع، وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا بقوله: «وبالجملة فالشهرستاني يظهر الميل إلى الشيعة إما بباطنه، وإما مداهنة لهم، فإن هذا الكتاب - كتاب (الملل والنحل) - صنفه لرئيس من رؤسائهم، وكانت له ولاية ديوانية، وكان للشهرستاني مقصود في استعطافه له، وكذلك صنف له كتاب (المصارعة)»[٢٠].

وهذا الأمير الشيعي الذي من أجله ألف الشهرستاني كتابيه: الملل والنحل، والمصارعة هو علي بن جعفر الموسوي، وكان أميرًا في خراسان[٢١].

وقد صرح الشهرستاني بذلك، فقال في مقدمة كتابه (مصارعة الفلاسفة) - بعد إطراء ومدح طويل لهذا الأمير الشيعي -: «انتدب أصغر خدمه محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، لعرض بضاعته المزجاة على سوق كرمه،

---

(٢٠) منهاج السنة ٣٠٦/٦.

(٢١) انظر ترجمته في طبقات أعلام الشيعة لآغابزرك الطهراني ١٨٢/٦، وانظر مقدمة (المصارعة)، ص١٣.

فخدمه بكتاب صنفه في بيان الملل والنحل، على تردد القلب بين الوجل والخجل، فأنعم بالقبول، وأنعم النظر فيه»[٢٢]، ويظهر تشيع الشهرستاني عندما يقول: «وبالجملة كان عليّ - رضي الله عنه - مع الحق، والحق معه»[٢٣] وقد علق شيخ الإسلام على هذه العبارة.. فكان مما قاله:

«هذا الكلام مما يبين تحامل الشهرستاني في هذا الكتاب مع الشيعة، وإلا فقد ذكر أبا بكر وعمر وعثمان، ولم يذكر من أحوالهم أن الحق معهم دون من خالفهم، وهذا التخصص لا يقوله أحد من المسلمين غير الشيعة»[٢٤].

وقد كذّب شيخُ الإسلام الشهرستاني في بعض آرائه التي تدل على تشيعه، وناقشها وبسط القول فيها، فكذّبه ابن تيمية مثلاً في دعواه أن عمر - رضي الله عنه - في خلافته ردّ السبايا والأموال لمانعي الزكاة[٢٥]، كما كذبه في دعواه اختلاف

(٢٢) مصارعة الفلاسفة، ص١٤.

(٢٣) الملل والنحل ١/٢٧، ومرة يقول: «لقد كان علىٰ عليٌّ الحق في جميع أحواله، يدور الحق معه حيث دار» الملل والنحل ١/١٠٣.

(٢٤) منهاج السنة ٦/٣٦٢ باختصار.

(٢٥) انظر منهاج السنة ٦/٣٤٧.

الناس على خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ[٢٦].

وعلى كل فإن الإنصاف والعدل يجعلنا نذكر لك أن الشهرستاني له شيء من الردود على مطاعن الشيعة في الصحابة[٢٧] مع أن الرد والمناقشة ليست من منهجه في كتاب الملل والنحل كما سيأتي، كما أنه يصفهم بالحيرة والضياع[٢٨]. وربما كان هذا التذبذب من أجل إرضاء الطرفين، أهل السنة والشيعة، والله أعلم.

وأما كتابه (الملل والنحل) والذي طبع عدة مرات، واعتنى به كثير من المحققين، وترجم إلى عدة لغات، فإنه يعتبر موسوعة جامعة وموجزة لمختلف المقالات والملل، والأهواء والنحل.

وقد اعتنى الشهرستاني فيه بحسن الترتيب، وجودة التنظيم، وعرض المعلومات، يقول السبكي: «وهو (أي

---

(٢٦) المصدر السابق ٦/ ٣٥٠.

(٢٧) انظر الملل والنحل ١/ ١٦٤، ١٦٥.

(٢٨) المصدر السابق ١/ ١٧٢، وانظر ١/ ٩٣. يقول الشهرستاني في نهاية الإقدام: «اعلم أن الإمامة ليست من أصول الاعتقاد، بحيث يفضي النظر فيها إلى قطع ويقين بالتعيين» ص٤٧٨ ولا شك أن هذا الكلام رد على الشيعة الإمامية.

كتـاب الملل والنحـل) عنـدي خير كتاب، صنف في هذا البـاب، ومصنف ابن حزم (يعني الفِصَل) وإن كان أبسط منه، إلا أنه مبدد ليس له نظام»[٢٩].

ويذكـر شيخ الإسلام أن هذا الكتاب: أجمع من أكثر الكتب المصنفة في المقالات، وأجود نقلاً»[٣٠].

وتميـز المـؤلـف بمنهجية في البحث، وأسلوب محكم في التصنيف، ويظهر هذا جليًا أثناء عرضه للمقدمات الخمس المهمـة، قبـل الشروع في الكتـاب، فقـد ذكـر في المقدمة الأولى: تقسيم أهل العالم، فعرض الأقوال في ذلك، وبين أنهم يقسمون في هذا الكتاب حسب آرائهم ومذاهبهم إلى قسمين:

١ ـ أربـاب الـديانـات والملل مطلقًـا: كالمسلمـين، وأهل الكتاب، والمجوس.

٢ ـ أهل الأهواء والنحل: كالفلاسفة، والدهرية، وعبدة الكواكب.

وكـانت المقدمة الثانية: في تعيين قانون يبني عليه تعدد

---

(٢٩) طبقات الشافعية ٦/١٢٨.

(٣٠) منهاج السنة ٦/٣٠٤.

الفرق الإسلامية، حيث حصر مسائل الخلاف بين الفرق الإسلامية في أربعة أصول وهي:

١ ـ التوحيد والصفات.

٢ ـ القدر وما يلحق به.

٣ ـ الوعد والوعيد والأسماء والأحكام.

٤ ـ السمع والعقل والرسالة والإمامة.

ثم توصل إلى تحديد أصول أو كبار الفرق الإسلامية وهي:

١ ـ القدرية.

٢ ـ الصفاتية.

٣ ـ الخوارج.

٤ ـ الشيعة.

وأشار الشهرستاني إلى طريقته في ترتيب الفرق، وهي أن يضع للرجال وأصحاب المقالات أصولاً، ثم يورد مذاهبهم في كل مسألة.

ثم ذكر الشهرستاني في شرطه في إيراد الفرق فقال: «وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن

أبين صحيحه من فاسده»[٣١].

ومع ذلك فلا يخلو كتابه من بعض الردود والمناقشات والإشارات النقدية[٣٢].

من مزايا هذا الكتاب أنه يعرِّف بالفرق ابتداءً، ثم يورد الأصول التي اتفقت عليها إحدى الفرق الإسلامية الكبار، ثم يذكر ما يختص بكل طائفة من طوائف هذه الفرقة[٣٣].

ويهتم الكتاب يذكر أبرز رجال بعض الفرق، وذلك عند نهاية الحديث عن إحدى الفرق[٣٤].

وكتاب (الملل والنحل) مرجع جيد في معرفة أقوال الأشاعرة والفلاسفة، كما يقول ابن تيمية:

«ولما كان (الشهرستاني) خبيراً بقول الأشاعرة وقول ابن سينا ونحوه من الفلاسفة، كان أجود ما نقله قول هاتين الطائفتين»[٣٥].

---

(٣١) الملل والنحل ١/١٦.

(٣٢) انظر الملل والنحل ١/٦٤ ـ ٨٣، ١٤١ ـ ١٤٧.

(٣٣) المصدر السابق ١/٤٣، ٤٦، ١١٥، ١٤٦.

(٣٤) المصدر السابق ١/١٣٧ (رجال الخوارج)، ١٤٦ (رجال المرجئة)، ١٩٠ (رجال الشيعة).

(٣٥) منهاج السنة ٦/٣٠٤، وانظر كلام د. علي سامي النشار عن=

وأما مصادر هذا الكتاب في الحديث عن الفرق الإسلامية، فيقول ابن تيمية:

«ما ينقله الشهرستاني وأمثاله من المصنفين في الملل والنحل، عامته مما ينقله بعضهم عن بعض، كثير من ذلك لم يحرر أقوال المنقول عنهم، ولم يذكر الإسناد في عامة ما ينقله، بل هو ينقل من كتب من صنف المقالات قبله، مثل أبي عيسى الوراق وهو من المصنفين للرافضة، المتهمين في كثير مما ينقلونه، ومثل أبي يحيى وغيرهما من الشيعة، وينقل أيضًا من كتب بعض الزيدية والمعتزلة الطاعنين في كثير من الصحابة»(٣٦).

ويقول في موضع آخر: «والشهرستاني أكثر ما ينقله من المقالات من كتب المعتزلة»(٣٧) حيث «أنهم من أكثر الطوائف وأولها تصنيفًا في هذا الباب»(٣٨).

ويظهر جليًا كثرة نقل الشهرستاني عن المعتزلة، فهو ينقل

= هذا الكتاب في كتابه نشأة الفكر الفلسفي ١/٥٢٥.

(٣٦) المصدر السابق ٦/٣٠٠.

(٣٧) منهاج السنة ٦/٣٠٧.

(٣٨) الفتاوى ٨/١١٥.

مثلاً عن الكعبي (المعتزلي)[39]، وربما نقل عن الوراق[40]، وغيرهما، وإن كان ينقل أحيانًا عن الأشعري كما أنه ينقل عن أشخاص آخرين، وقد يذكر كتبًا غير موجودة ـ الآن ـ وينقل عنها مثل كتاب عذاب القبر لابن كرام، وكتاب في مقالات الخوارج للحسين الكرابيسي، وكثيراً ما ينقل الشهرستاني الأقوال دون عزو إلى مصادرها، وقد يترجم بعض الكلام فينقله من الأعجمية إلى العربية، كما فعل بما كتبه أحد الباطنيين[42].

وعندما نتحدث عن المآخذ على هذا الكتاب، فمنها عدم اشتراطه نقد الفرق المنحرفة، والرد عليها، والمسلم مطالب بنصرة الحق والدعوة إليه، ورد الباطل والتحذير منه، فأهل الاستقامة يحبون الحق ويعرفونه، كما يرحمون الخلق فيدعونهم للخير، وربما كان هذا الشرط الذي اشترطه الشهرستاني على

---

(٣٩) انظر الملل والنحل ١/٥٥، ٦٤، ٦٧، ٧٠، ٧٥، ٩٠.

(٤٠) انظر الملل والنحل ١/١٨٤، ١٨٧.

(٤١) المصدر السابق ١/٧٣، ١٠٥، ١٢٩.

(٤٢) المصدر السابق ١/١٩٥.

نفسه سببًا في رميه ببعض الاتهامات[٤٣].

ومأخذ آخر وهو نقل الشهرستاني عن الشيعة والمعتزلة بلا تمحيص ولا توثيق، وهذا ما أشار إليه ابن تيمية آنفًا، ومن ثم فإن كتابه يحوي أقوالاً لا زمام لها ولا خطام، ومثاله ما ذكره في المقدمة الثالثة في أول كتابه حيث قال: «في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة، ومن مصدرها في الأول، ومن مظهرها في الآخرة»[٤٤]، وقد بنى على هذه المناظرة الكثير من النتائج المهمة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلقًا على ذلك:

«فهذه الشبهة التي ذكرها الشهرستاني في أول كتابه (الملل والنحل) عن إبليس في مناظرته للملائكة لا تعلم إلا بالنقل، وهو لم يذكر لها إسنادًا، بل لا إسناد لها أصلاً، فإن هذه لم تنقل عن النبي - ﷺ - ولا عن أحد من الصحابة، ولا عن أئمة المسلمين المشهورين، ولا هي أيضًا مما هو معلوم عند أهل الكتاب»[٤٥].

---

(٤٣) انظر مثلاً عرضه لمذهب النصيرية ١/١٨٨.

(٤٤) الملل والنحل ١/١٦ - ٢٠.

(٤٥) منهاج السنة ٦/٣٠٦.

وقد عرض شيخ الإسلام لكثير من الأقوال التي أوردها الشهرستاني، ونقدها[٤٦]، ويظهر أن الشهرستاني قليل المعرفة بالحديث، وقد تعقبه شيخ الإسلام في عدة مواضع[٤٧]، وقال:

«والشهرستاني لا خبرة له بالحديث وآثار الصحابة والتابعين»[٤٨].

ومأخذ ثالث - وهو وثيق الصلة بما سبق - وهو أن الشهرستاني مع كثرة ذكره للمقالات وأقوال أهل الديانات وأهل الأهواء، إلا أنه لم ينقل مذهب الصحابة وسلف الأمة، لا تعمدًا منه لتركه، بل لأنه لم يعرفه، وذلك لقلة خبرته بنصوص الرسول - ﷺ - وأصحابه والتابعين.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في بيان شيء من المعلومات عن هذا المتكلم وكتابه، ونسأل الله - عز وجل - أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(٤٦) انظر مثلاً المنهاج ٦/٣١٨، ٣٢٤، ٣٤٧، ٣٥٠.

(٤٧) انظر المنهاج ٦/٣٢٣، ودرء، تعارض العقل والنقل ٣/١٣٢.

(٤٨) منهاج السنة ٦/٣١٩.

٤ ـ الجهم بن صفوان: حقائق وأباطيل

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**﴾[1]، ولعل هذه المقالة الآتية عن شخصية «الجهم بن صفوان»، تحقق شيئًا من تلك «الاستبانة» لسبيل المجرمين الضالين.. وأمر آخر دفعني إلى الكتابة عن الجهم، وهو أن هذا «الجهم» الذي وصفه أحد أسلافنا ـ رحمة الله عليهم ـ وهو الذهبي ـ فقال عنه «أسُّ الضلالة ورأس الجهمية»[2] وأنه «زرع شرا عظيمًا»[3].. فمع ما تضمنته مقالات الجهم من كفر وزندقة وإلحاد، وما خلّفه من فتنة وفساد وشر، مع هذا كله فإننا نجد من بعض الباحثين من يدافع عنه، ويحاول أن يوجد للجهم مسوغًا ومبررًا في انحرافه وإفساده، ويظهر ـ جليًا ـ تحامل هؤلاء الباحثين، بل طعنهم

---

(١) سورة الأنعام، آية ٥٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٦.

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ٤٢٦.

على أئمة السلف الصالح وأهل الحديث ممن تصدوا للذود عن العقيدة الصحيحة والذبّ عنها.

وبين يدي ثلاثة كتب تدافع عن الجهم وتتعاطف معه..

فأما أولها فهو «تاريخ الجهمية والمعتزلة» لجمال الدين القاسمي(★) والذي عُرف بعقيدة صحيحة واستقامة ظاهرة وهو يدافع عن الجهم باسم الموضوعية والإنصاف! ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ، ولكن لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة، وعفا الله عن القاسمي.

فأما الكتاب الآخر هو «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» الجزء الأول للدكتور علي سامي النشار حيث دافع النشار عن الجهم وشيخه الجعد بن درهم، ثم تحامل وطعن في علماء أهل الحديث.

(★) حاول بعض الباحثين التشكيك في نسبة كتاب تاريخ الجهمية للمؤلف، ولكن الباحث إبراهيم الحسن في رسالته للماجستير (القاسمي ومنهجه في التفسير) بجامعة الإمام/ كلية أصول الدين ـ أثبت صحة نسبة الكتاب للقاسمي، وذكر أن هذا الكتاب. نشر في مجلة المنار في حياة المؤلف، وربما أن حب القاسمي للتقريب والاتحاد بين الفرق الإسلامية هو الذي دفعه إلى ذلك، لكنه أخطأ في سلوك هذا المسلك فغفر الله له.

وأما الكتاب الثالث فهو «الجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي» لخالد العلي أحد الباحثين من بلاد العراق، حيث نافح عن الجهم متأثرًا بمن سبق.

وابتداءً أنقل لك أخي القارىء نبذة عن الجهم، فأقول مستعينًا بالله: هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي مولاهم، السمرقندي (ت ١٢٨هـ) أما شيوخه فقد قال قتيبه «بلغني أن جهمًا كان يأخذ الكلام من الجعد بن درهم[٤]».

ويقول مقاتل بن سليمان «إن جهمًا والله ما حج هذا البيت ولا جالس العلماء[٥]». ولذا قال الذهبي «ما علمته روىٰ شيئًا»[٦].

ومن ثم تلقى الجهم التعطيل والالحاد في دين الله من هذا الجعد، وكان الجعد مؤدبًا لمروان بن محمد ـ آخر خلفاء بني أمية ـ، وكما يقول ابن تيمية «كان انقراض دولة بني أمية

---

(٤) خلق أفعال العباد للبخاري ص٨.

(٥) عقائد السلف ص١١٠ (ملحق في الجهمية من كتاب مسائل الإمام أحمد لأبي داود) وقال أبو معاذ خالد بن سليمان البلخي :ـ لم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم.

(٦) ميزان الاعتدال ١٠/ ٤٢٦.

بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الأسباب التي أوجبت إدبارها[7]».

ويقـول أيضًـا عن مقالة الجعد في التعطيل «أصل هذه المقـالـة إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصـائبـين، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه[8]».

أما عن مؤلفاته فلا تذكر المصادر ـ التي بين أيدينا. . شيئًا من مؤلفاته، غير أن عبدالقادر الجيلاني في «الغنية» ذكر أن للجهم كتابًا في نفي الصفات[9].

وعنـدما نتحدث عن أحوال الجهم وبقية حياته وآرائه، فإننـا نجد أن علماء السلف ذكروا طرفًا كثيرًا من أحواله ـ خاصة كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد، وخلق أفعـال العبـاد للإمام البخاري، والعلو للذهبي وغيرها ـ، وسنذكر بعضًا من تلك الأخبار.

---

(٧) الفتاوى ١٣/ ١٨٢.

(٨) الفتاوى ٥/ ٢٠.

(٩) انظر الغنية ١/ ٩٤.

«قال ضمرة عن ابن شوذب :ـ ترك الجهم الصلاة أربعين يومًا على وجه الشك[10]» وسبق أن ذكرنا قول مقاتل بأن جهمًا لم يحج البيت.

«وقال أبو نعيم البلخي :ـ كان رجل من أهل مرو صديقًا لجهم ثم قطعه وجفاه، فقيل له: لم جفوته؟ قال جاء منه ما لا يحتمل، قرأت يومًا آية كذا، فقال، ما كان أظرف محمدًا فاحتملتها، ثم قرأ سورة طه، فلما قال ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ قال: أما والله لو وجدت سبيلاً إلى حكها لحككتها من المصحف، فاحتملتها، ثم قرأ سورة القصص، فلما انتهى إلى ذكر موسى قال: ما هذا؟ .. ثم رمى المصحف من حجره برجليه، فوثبت عليه[11]».

وكما ترى ـ أخي القارىء ـ من خلال هذه الرواية الموثقة

---

(١٠) خلق أفعال العباد ص١١، وقال محقق الكتاب (أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني): إسناده جيد.

(١١) المرجع السابق ص٢٠، وقال محقق الكتاب (أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني): إسناده صحيح، ورواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة، ورواه الذهبي في «العلو» وقال الالباني: سنده صحيح..

ما كان عليه الجهم من اعتقاد خبيث، وكفر ظاهر. فمرة تراه يزعم أن هذا القرآن من قول محمد ـ ﷺ ـ، ومرة أخرى يتمنى أن يجد طريقًا إلى حذف تلك الآية التي تضمنت إثبات صفة الاستواء لله تعالى، ومرة ثالثة يصل به التمادي في الكفر إلى امتهان القرآن ورميه من حجره برجليه!!

وعلى كل فإن الجهم ـ فعلاً ـ هو أسُّ الضلال ومستنقع إلحاد وكفر، فهو معطل ـ من غلاة المعطلة ـ في باب الصفات، وقائل بالجبر وأن الشخص كالريشة في مهب الريح لا فعل له ولا ارادة، وقائل بفناء الجنة والنار، وهو الذي زعم أن الإيمان هو المعرفة فقط فليس عمل القلب ولا قول اللسان ولا فعل الجوارح داخلًا ضمن مسمى الإيمان، كما زعم أن الله ـ تعالى ـ في الأمكنة كلها(١٢)، إلى غير ذلك من البدع الكفرية والأقوال الإلحادية.

يقول ابن تيمية: ـ رحمه الله ـ «وحقيقة قول الجهم هو قول فرعون وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه ودينه(١٣)»

---

(١٢) من أفضل الكتب وأوسعها في ذكر آراء الجهم مع الرد والدحض، هو كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي ـ رحمه الله ـ، ص٩٦ ـ ١٤٤.

(١٣) الفتاوى ١٣/ ١٨٥.

ويقول أيضًا «كان الجهم (مجبرًا) يقول: إن العبد لا يفعل شيئًا[14]».

ويقـول في موضـع ثالث: «كان هو وأتباعه ينكرون أن يكون لله حكمة في خلقه وأمره، وأن يكون له رحمة ويقولون: إنما فعل بمحض مشيئته لا رحمة معها، وحكى عنه أنه كان ينكر أن يكون الله أرحم الراحمين وأنه كان يخرج إلى الجذمىٰ فينظر إليهم ويقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا بهؤلاء[15]».

وقد وقع للجهم مناظرة معلومة مع السُمنية[16]، نذكرها لك أخي القارىء ـ كما جاءت في الرد على الزنادقة والجهمية للإمـام أحمد، والعلو للذهبي ـ، يقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «كان ممن بلغنا من أمر الجهم عدو الله، أنه كان من أهـل خراسـان، من أهل ترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله ـ تعالى ـ، فلقي أناسًا من

---

(14) الفتاوى ١٢/ ٣٥٠.

(15) الفتاوى ٨/ ٤٦٠.

(16) السمنية نسبـة إلى سومنـات بلدة بالهنـد، وهم البوذية (عن حاشية عقائد السلف ص٦٥).

المشركين يقال لهم السمنية فعرفوا الجهم، فقالوا له: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له: ـ ألست تزعم أن لك إلهًا؟ قال الجهم: نعم، فقالوا له: فهل رأيت إلهك؟ قال: لا، قالوا: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا، قالوا: أشممت له رائحة؟ قال: لا، قالوا: فوجدت له حسًا؟ قال: لا.. قالوا فما يدريك أنه إله؟ قال: فتحيّر الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يومًا، ثم استدرك الجهم حجة مثل حجة زنادقة النصارى فقال للسمني: ألست تزعم أن فيك روحًا؟ قال نعم، فقال: هل رأيت روحك؟ قال: لا، قال فسمعت كلامه؟ قال: لا. قال: فوجدت له حسًا؟ قال لا. قال فكذلك الله لا يرى له وجه، ولا يسمع له صوت.. وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان.[17]».

وقد أورد الذهبي هذه القصة مختصرة، وأن الجهم ذكر للسمنية أن الله «هو هذا الهواء مع كل شيء، وفي كل شيء،

---

(١٧) الردّ على الزنادقة والجهمية (ضمن عقائد السلف) ص٦٥، ٦٦.

ولا يخلو منه شيء[١٨]، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

ولنا مع هذه القصة وقفة، فكما تشاهد ـ أخي القاريء ـ أن وقوع الجهم في هذا التعطيل لأسماء الله وصفاته له أسباب يمكن تتبعها من تلك القصة وغيرها.

فالجهم لم يجالس العلماء، ولم يرو شيئًا من الآثار ـ كما سبق ذكره ـ مع أنه عاش في زمان التابعين، حيث تكثر حلق العلم العامرة، ويتوافر العلماء الربانيون، ومن ثم كان قلبه قابلاً لأي باطل أو شبهة.

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

«إن الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر، ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكًا، لأنه قد رسخ في العلم فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردها حرس العلم وجيشه مغلولة مغلوبة»[١٩].

---

(١٨) مختصر العلو ص١٦٢، وقال الألباني عن إسناد هذه القصة: إسنادها صحيح.

(١٩) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ١٤٠.

ومن ثم فأوصيك أخي القـاريء ونفسي بالاهتمام الجاد بتحصيل العلم الشرعي النافع، والحرص على مجالسة أهل العلم الصادقين.

وسبب آخر أوقع الجهم في هذا التعطيل وهو أنه صاحب جدل وخصـومه، حيث كان فصيح اللسان ويسبب جدله وخصومته، وقع في الشك والارتياب، وفقد اليقين والانقياد، وكم نحن بحـاجة إلى ترسيخ الإيمان في نفوسنا، والتسليم للنصوص الشرعية بكل انشراح صدر واطمئنان نفس، دون أن يسبـق هذا التسليـم مقدمات أو مقـررات سابقـة..

يقـول أحد السلف: «إن الإيمان إذا سكن القلب قبل الاحتجـاج لم يخرجـه الاحتجاج، وإذا سكن الحجاج قبل الإيمان كان متنقلاً، متى حاجه من هو أحج منه[٢٠].

ويقـول عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ «من جعل دنيه عرضًا للخصومات أكثر التنقل»[٢١].

وعن أبي الزناد عن أبيه: لا يقيمون على أمر وإن أعجبهم

---

(٢٠) أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/٧٢٢.

(٢١) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة، وكذا الآجري في الشريعة.

إلا نقلهم الجدل إلى أمر سواه، فهم كل يوم في شبهة جديدة ودين ضلال»[٢٢].

وصدق رسول الله - ﷺ - القائل «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل**» رواه أحمد وغيره[٢٣].

وسبب ثالث أوقع الجهم - وكذا غيره من المبتدعة - في التعطيل وهو اتباع المتشابه، يقول الإمام أحمد «الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، فضلوا وأضلوا بكلامهم بشرًا كثيرًا»[٢٤].

يقول الله - تعالى -: ﴿ **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾[٢٥]، «فأهل الزيغ يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة، فهم يطلبون به اهواءهم لحصول الفتنة، فليس نظرهم في الدليل نظر المستبصر حتى يكون هواه تحت حكمه، بل نظر من حكم بالهوى، ثم

---

(٢٢) خلق أفعال العباد للبخاري ص٨٩.

(٢٣) انظر صحيح الجامع الصغير ٥/١٤٦ رقم الحديث ٥٥٠٩.

(٢٤) الرد على الزنادقة والجهمية (ضمن عقائد السلف) ص٦٤، ٦٥.

(٢٥) سورة آل عمران، آية: ٣.

أتى بالدليل كالشاهد له»[٢٦].

وسبب رابع جعل الجهم يتردى في هذا التعطيل، وهو «ردة الفعل»!، إن مقالة جهم في التعطيل جاءت كرد فعل لمقالة مقاتل بن سليمان - المفسر - في التشبيه والتمثيل، يقول أبو حنيفة - رحمه الله - «أفرط جهم في نفي التشبيه، حتى قال إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل - في التشبيه والتمثيل - حتى جعله مثل خلقه»[٢٧]، وقد التقى الجهم بمقاتل بن سليمان في بلخ، وحصل بينهما خصومات واختلاف، حتى نفي الجهم إلى ترمذ.

وكم أوقعت ردود الفعل - لانحراف ما - من الإفساد والتبديل للمعاني الصحيحة، إن الجهم استحضر أمامه انحرافًا معينًا وهو التمثيل والتشبيه، واستغرق في دفعه حتى آل به الأمر إلى التعطيل، وهكذا نشاهد أن كثيرًا من الانحرافات السائدة الآن ومن قبل، إن من أسبابها أنها ردود أفعال لانحراف ما، فبدعة الارجاء «رد فعل» لبدعة الخوارج، وبدعة الجبررد فعل لبدعة خلق العبد لفعله، وهكذا.

---

(٢٦) الاعتصام للشاطبي ١ / ٢٢١ بتصرف يسير.

(٢٧) ميزان الاعتدال ٤ / ١٧٣.

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «إننا لا نستحضر أمامنا انحرافًا معينا من انحرافات الفكر الإسلامي، أو الواقع الإسلامي، ثم ندعه يستغرق اهتمامنا كل، بحيث يصبح الرد عليه وتصحيحه هو المحرك الكلي لنا فيما نبذله من جهد في تقرير خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، إنما نحاول تقرير حقائق هذا التصور ـ في ذاتها ـ كما جاء الوحي.

ذلك أن استحضار انحراف معين، أو نقص معين، والاستغراق في دفعه، وصياغة حقائق التصور الإسلامي للرد عليه، منهج شديد الخطر، وله معقباته، في إنشاء انحراف جديد في التصور الإسلامي لدفع انحراف قديم، والانحراف انحراف على كل حال[٢٨]».

وعلى كل فإن الجهم لم يلبث أن قُتِل حيث كان مع الحارث بن سريج الذي خرج على دولة بني أمية، وقد قتله سَلْمُ بن أحوز صاحب شرطة نصر بن سيار، وذلك سنة ١٢٨هـ.

ولو تحدثنا عن موقف السلف من فرقة الجهمية لطال بنا

---

(٢٨) خصائص التصور الإسلامي ص١٩.

الحديث[29]، ولكن نذكر قول اثنين من أئمة السلف فيهم، يقول عبدالله بن المبارك ـ رحمه الله ـ: «الجهمية كفار، ومَن يشك في كفر الجهمية؟ ثم يقول: إنا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستجيز أن نحكى كلام الجهمية»[30]

ويقـول الإمـام البخـاري ـ رحمه الله ـ «نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت أضل في كفرهم منهم، وإني لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم»[31].

وبعـد هذا العرض لحياة الجهم بن صفوان، أنقل لك أخي القاريء شيئًا مما قاله بعض المدافعين عن الجهم، أو ممن افتعلوا مبررات ومسوغات لانحراف الجهم وزندقته.

فيذكـر القاسمي ـ عفا الله عنه ـ أن «الجهمية فرقة من المسلمـين»[32]، ويصف الجهم بالحرص على إقامة أحكام الكتاب

---

(29) انـظر مثـلاً كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد، والرد على الجهمية للدارمي وأصول الاعتقاد للالكائي، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم وغيرها.

(30) السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ١/١٠٩، ١١١.

(31) خلق أفعال العباد ص١٣.

(32) تاريخ الجهمية والمعتزلة ص٩.

والسنة!![33]، ويقول القاسمي «وكان الجهم داعية للكتاب والسنة، ناقمًا على من انحرف عنهما، مجتهدًا، في أبواب من مسائل الصفات»[34] ويحاول القاسمي التقريب ورفع الخلاف بين الجهم ومخالفته[35]، ويعرِّف القاسمي القول الجبر - الذي اشتهر به الجهم - بعبارة «موهمة» فيقول بأنه «إسناد فعل العبد إلى الله»[36].

أخي القاريء:- قارن كلام القاسمي بكلام الإمام البخاري وابن المبارك، ولا أدري كيف غاب عن القاسمي أقوال السلف الصالح في بيان حال الجهم؟ ألم يطلع على قول عثمان بن سعيد الدارمي - رحمه الله - عن الجهمية عندما قال:-

«ما الجهمية عندنا من أهل القبلة، وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور وأثر مشهور وكفر مشهور»؟[37] ويقول أيضًا

---

(٣٣) انظر المرجع السابق ص١٦.

(٣٤) المرجع السابق ص١٨. وهل لأحد الاجتهاد في الصفات؟ وقارن كلامه هنا بكلامه في تفسيره ٥/ ٩٤ - ١٤٧!

(٣٥) انظر المرجع السابق ص٢٠.

(٣٦) المرجع السابق ص٢٨.

(٣٧) الرد على الجهمية ص١٧١.

«الزنادقة والجهمية أمرهما واحد، ويرجعان إلى معنى واحد ومـــراد واحــد»[٣٨]. وكيف بوصف الجهم بأنـه كان داعية للكتاب والسنة، وهو أجهل من حمار أهله، فقد قال بخلق الـقـرآن، وامـتهـن كتـاب الله، وكيف يكـون داعيـة من لا شيوخ له ولا علم عنده ـ كما نقل ذلك الثقات ـ «لقد سئل جهم عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها، فقال عليها العدة، فخالف كتاب الله بجهله. قال الله سبحانه: ﴿ **فما لكم عليهن من عدة تعتدونها** ﴾ [الأحزاب، الآية: ٤٩][٣٩].

وأمـا «الجبر» الذي اقترن بالجهم فهو دعوى الجهم بأن العبد مجبور على فعله كالريشة في مهب الريح لا اختيار له ولا مشيئة، وإنما هي مشيئة الله المحضة، فلا حكمة ولا تعليل ـ كما سبق ذكره ـ ويزعم أن فعل العبد هو عين فعل الله تعالى.

ومن الغريب جدًا أننا نجد القاسمي يجعل هذا التبرير

---

(٣٨) الرد على الجهمية ص١٧٦ ولقد قال ابن القيم عن الجهمية:

ولقـــد تقلد كفـرهم خمســون في عـ

شر من الـــعـلماء في البـــدان.

(٣٩) خلق أفعال العباد ص١١.

موضوعيةً وإنصافًا، يقول القاسمي: «وبالجملة فلابد من السند في قبول ما يعزى ويروى إلى تلك الفرقة، فإما عن أسفارها، أو عن إمام ثقة أثر عنها، وأما رمي فرقة برأي ما بدعوى أنه قيل عنها، أو يقال، فمما لا يقام له وزن في الصحة والاعتقاد[40]».

وهذا حق، وكلام جميل يجب أن نتمثل به، ونجعله نهجًا في تقويم الأفراد والمجتمعات. والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ **ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ [سورة المائدة، آية: ٨]، ولكن الغريب فعلًا كيف يخفى على القاسمي الكم الهائل من أقوال السلف والمروية بالأسانيه الصحيحة عن حال هذه الفرقة (الجهمية) ومؤسسها؟!

ويا سبحان الله! فنحن نرى القاسمي يناقض كلامه السابق بنفسه، فيروي قصة مناظرة الجهم للسمنية من خلال نقله عن الرد على الزنادقة للإمام أحمد، ويحذف القاسمي ما ذكره الإمام أحمد بأن الجهم ترك الصلاة أربعين يومًا. . وكل ذلك بدعوى الاختصار! فأين التوثق والانصاف؟ بل نجد

---

(٤٠) تاريخ الجهمية ص٣٠.

القاسمي يعلق على هذه المناظرة ـ التي كانت سببًا في ضلال الجهم وزندقته كما مرّ بنا ـ فيقول: «هذا ما حكاه الإمام أحمد في الرد على الجهمية أثرناه باختصار وقوفًا على موضع الشاهد من فطنة جهم وبلاغته في إفحامه خصمه[٤١]».

وبئس هذا الذكاء الذي أورد صاحبه المهالك، وما حال الجهم ومن سار على نهجه إلا أنهم أوتوا ذكاءً ولم يؤتوا زكاءً، وأوتوا علومًا ولم يؤتوا فهومًا، وأوتوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء..

ويستطرد القاسمي ـ في موضع آخر ـ في الحديث عن الجعد بن درهم[٤٢] شيخ الجهم.. فينقل خليطًا من

---

(٤١) تاريخ الجهمية ص٢٣.

(٤٢) الجعد بن درهم/ أول من قال بخلق القرآن، وأنكر الصفات.. وكان مؤدبًا للخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد/ قتله خالد بن عبدالله القسري في عيد الأضحى (١٢٤هـ)، وهو من خراسان، حيث قال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً ثم نزل فذبحه في أصل المنبر. / البداية ٩/ ٣٥٠.

الروايات في الطعن في خالد بن عبدالله القسري[٤٣] ـ قاتل الجعد ـ وأن خالدًا ـ كما تدعي تلك الروايات ـ جعل الولاية لأهل الذمة على المسلمين، وأنه كان ناصبيًا يبغض عليًا ـ رضي الله عنه ـ وأن أبا الفرج الأصفهاني قال «اللهم العن خالـدًا واخزه وجدِّد على روحه العذاب» ثم قال القاسمي ـ سامحه الله ـ «ومن أراد استيفاء أحواله وأخباره بأفظع من هذا مما نصـون عنـه بحثنـا المسـطور فليرجع إلى كتاب الأغاني للأصفهاني رحمه الله[٤٤]» !!

وهكذا يناقض القاسمي كلامه بنفسه مرة أخرى «فأين التحـري والإنصـاف ممن ينقـل عن الأصفهـاني «الشيعي الأموي[٤٥] !!» ، وقد قال ابن كثير عن هذا الأصفهاني :ـ «وكان فيه تشيع ، قال ابن الجوزي : ومثله لا يوثق به ،

---

(٤٣) خالد القسري، تولى الإمارة على الحجاز ثم العراق. . كان فصيحًـا بليغًـا . . اشتهر بالكرم والجود رُمي بالنصب: توفي مقتولا سنة ١٢٦هـ/ البداية ١٠/ ٢٠ .

(٤٤) تاريخ الجهمية ص٤٢ .

(٤٥) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٠٢ «والعجب أنه أموي /شيعي» .

فإنـه يصرح في كتبه بما يوجب العشق ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى فيه كل قبيح ومنكـر[٤٦]»، خاصة إذا علمنا أن الأصفهاني قد روى الكثير من أخبار كتابه عن طائفة من الرواة الكذابين[٤٧]

وأما خالد القسري فنرى أن ابن كثير يترحم عليه، وقد أورد ابن كثير بعضًا من تلك المثالب التي نسبت إلى خالد ثم قال «والذي يظهر أن هذا لا يصح عنه، فإنه كان قائمًا في إطفـاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله للجعد بن درهم وغيره من أهل الإلحاد، وقد نسب إليه صاحب العقد [ابن عبدربه] أشياء لا تصح، لأن صاحب العقد فيه «تشيع شنيع ومغالاة في أهل البيت[٤٨]»

لقـد قتـل خالـد القسري الجعد بن درهم، وقتل أيضًا المغيرة بن سعيد العجلي وبيان بن سمعان التميمي وهما من رؤوس غلاة الشيعة المجسمة الملحدة. . وهذا يكشـف لنا

---

(٤٦) البداية والنهاية ١١/ ٢٦٣.

(٤٧) انظر كتاب السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني/ وليد الأعظمي.

(٤٨) البداية والنهاية ١٠/ ١٨٠.

تحامل الاصفهاني وابن عبدربه «الشيعيين» على القسري ورميه بالنصب.

وأما علي سامي النشار.. فيدافع عن الجعد بن درهم في كتابه «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» ويصفه بأنه أول رواد التفسير العقلي في الإسلام[٤٩].. ويمتطي النشار التأويل المتعسف من أجل «تسويغ» زندقة الجعد.

ويزعم النشار أن قتل الجعد كان سياسةً لا دينًا.. يقول النشار:

«لا نستطيع أن نصدق أن قتله (أي الجعد) كان لارائه الفكرية، بل يبدو أنه لسبب سياسي[٥٠]» لكن الحقيقة أن قتل الجعد كان لزندقته وإلحاده.. يقول ابن تيمية:ـ

«وقد قتل الجعد بالعراق في واسط في أوائل المئة الثانية بفتوى التابعين وحمدوه على ما فعل، وشكروا ذلك[٥١]».

ويقول ابن القيم في النونية:ـ

---

(٤٩) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/٣٣٢.

(٥٠) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ١/٣٣١.

(٥١) الفتاوى ١٢/٣٥٠.

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ
ـقسري يوم ذبائح القربان
إذ قال ابراهيم ليس خليله
كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة
لله درك من أخي قربان[٥٢]

ومما قاله النشار: «وهناك عرف الجهم منهج الجعد وهو منهج التأويل وعدم الاهتمام بعلم الحديث، وقد راعه الحشو الهائل الذي أدخل في الحديث. . كما راعه عدم اهتمام المحدثين «بالدراية» واقتصارهم فقط على الرواية[٥٣]».

إن رمي أهل الحديث ووصفهم بالحشو. . وأنهم حشوية. . ليست إفكًا جديدًا. . بل قد قالها عمرو بن عبيد ـ أحد رؤوس الاعتزال ـ فوصف ابن عمر الصحابي الجليل بأنه حشوي، وتعود هذه الفرية من جديد كما هو ظاهر في هذا النص.

وأما دعوى أن أهل الحديث لا اهتمام لهم بالدراية. .

---

(٥٢) شرح النونية/ محمد هراس ١/ ٢٧.

(٥٣) نشأة الفكر الفلسفي ١/ ٣٣٣، ٣٣٤.

فهـذه تهمـة باردة وقديمة. ومن له إلمام واطلاع على كتب الحـديث يدرك عنـاية السلف الصالح بمتون الأحاديث، ونقدها، وقد ذكروا ضوابط وقواعد لهذا الفن[٥٤].

وأخـيرًا أسـأل الله ـ عز وجل ـ أن يرزقنا حسن الاتباع لرسول الله ـ ﷺ ـ وبالله التوفيق.

---

(٥٤) انظر مثلًا كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبه وكتاب المنار المنيف لابن القيم وكتاب اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندًا ومتنًا لمحمد لقمان.

نظرة في الاتجاه العقلاني المعاصر ومظاهره(★)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد: ـ

فإن رصد وكشف المذاهب المنحرفة عن الصراط المستقيم من الأمور المهمة التي ينبغي الاهتمام الجاد بدراستها، وبإعطائها حقها من المتابعة والبحث، تحقيقًا لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين** ﴾ [الانعام، آية: ٥٥]، وكما قال عمر الفاروق ـ رضي الله عنه ـ: إنما تنقض عرى الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية، وقد كان حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ يقول: كان الناس يسألون رسول الله ـ ﷺ ـ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني» .

(★) نشر هذا المقال في مجلة المجاهد، عدد ٢٧ .

وإن المذهب ـ أو الاتجاه العقلاني المعاصر[1] إزاء النصوص الشرعية، من أخطر المذاهب وأشدها تضليلاً، وأكثرها تحريفًا لشرائع الإسلام الصحيح، حيث أن هذا المسلك قد انتحله عدد غير قليل من المفكرين والمثقفين، كما أنه يتضمن التلبيس والاشتباه على الكثير من المسلمين، ومن ثم فلا يستغرب أن يقوم أعداءٌ للإسلام بالكيد لهذا الدين وأهله من خلال هذا المسلك العقلي «المتحرر» والذي يرفع شعار الإسلام.

إن هؤلاء العقلانيين قد جعلوا عقولهم حاكمةً على النصوص الشرعية، لقد جعلوا تلك العقول مع قصرها، ومحدودية إدراكها، وتفاوت أنواعها، وكثرة خطئها حاكمةً وقاضيةً على النصوص الشرعية الصحيحة المتلقاة من وحي معصوم من عند الله ـ عز وجل ـ ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً**﴾، وكما أنهم حكموا عقولهم على «السمع» فإنهم أيضًا جعلوا مقتضيات العصر الحديث ومستجداته ومتغيراته حاكمًا ـ آخر ـ على الوحي، فهم يسعون

---

(١) هذا الاتجاه قد يسمى مدرسة إصلاحية.. وأحيانًا يعرف بـ«عصرنة الإسلام» وربما سماه أصحابه تطويرًا وتجديدًا..

إلى إنزال الشرع على وفق مقتضيات العصر الحاضر، ومن ثم فنجد الكثير من المحرمات شرعًا تكون سائغة عندهم ويتهاون في شأنها بدعوى تغير الزمان، وأن «الدين» ينبغي أن يكون مواكبًا لتلك المتغيرات ـ أو بالأحرى: الانحرافات ـ «ومباركًا» لها أحيانًا كما سأذكره إن شاء الله.

وفي الجملة فإن هذا المسلك العقلاني امتداد لفرقة المعتزلة المعروفة، والتي ظهرت في القرون الأولى، حيث أن هناك قواسم مشتركة بين المعتزلة الأوائل وبين أفراخهم من العقلانيين المعاصرين من حيث مصدر تلقي العقيدة، ومنهج الاستدلال، وبعض الأفكار والصفات المشتركة بين أسلاف المعتزلة وبين خلفهم من المعاصرين، ومن هذه القواسم المشتركة التي تجمع بين المعتزلة الأوائل وبين المتأخرين جعل العقل ندًا للوحي، بل قد يقدمون العقل على النص الصحيح، كما نجد اتفاقًا بينهما في التبعية للمذاهب والفلسفات الأجنبية، واستباحة الخوض في الأمور الغيبية، والاستهانة بأحكام الله وشرعه، والجرأة على إثارة الشبهات والآراء الشاذة باسم التسامح الديني وحرية الفكر، كما يتفقون على مقت أهل السنة والتهوين من شأنهم،

فالمعتزلة الأوائل كانوا يرمون السلف الصالح بأنهم حشوية ومجسمة ونحو ذلك، وهؤلاء المعاصرون يلقبون أهل السنة بالأصوليين.. أو المتشددين المتزمتين.. وربما اتهموهم بالتشنج والحرفية وضيق الأفق[1]..

وتتمثل آراء هذا المسلك العقلاني الحديث في مظاهر فكرية متعددة نذكر منها ما يلي:-

١ - مدح المعتزلة الأوائل وتبجيلهم والثناء الحسن والكثير عليهم، وممن يفعل ذلك على سبيل المثال: أحمد أمين، وزهدي جارالله، وزكي نجيب محمود[2].

٢ - تمييع عقيدة الولاء والبراء.. بل «مسخ» هذه العقيدة وإسقاط هذا الأصل الأصيل من العقيدة الصحيحة، وذلك عن طريق ما يسمى بوحدة الأديان وزمالتها، أو الدعوة إلى القومية، أو الإنسانية (العالمية)، أو الدعوة إلى التقارب مع

---

(١) انظر مجلة كلية أصول الدين العدد الثالث بجامعة الإمام محمد بن سعود/الرياض، مقال «المدرسة العقلية الحديثة وصلتها بالقديمة.. للشيخ ناصر العقل ص٢٤٧ - ٢٦٥.

(٢) انظر المقال السابق، وكتاب المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبدالحليم.

الرافضة، فمثلاً جمال الدين الفارسي (الأفغاني) دعا لوحدة الأديان[٣]، وكذا تلميذه محمد عبده[٤]، كما نادى محمد عمارة بالقومية ووحدة الأديان[٥]، وكذا معروف الدواليبي دعا للقومية[٦] والعالمية[٧].

٣ - تعطيل الجهاد في سبيل الله، وتضييق دائرته، وقصره على ما يسمى بـ«الدفاع» فقط. بدعوى الرد على فرية المستشرقين الزاعمين أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف[٨] كما أنهم حرفوا ما يتبع الجهاد من أحكام شرعية، فمثلاً من هؤلاء من ينكر الجزية أو يتأولها على غير معناها الصحيح، ومنهم من يبطل

---

(٣) انظر كتاب دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام لمصطفى غزال.

(٤) انظر كتاب الإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين رحمه الله.

(٥) انظر كتابه الإسلام والوحدة القومية.

(٦) انظر كتاب فكرة القومية العربية لصالح العبود.

(٧) انظر كتابه نظرات إسلامية في الإشتراكية الثورية.

(٨) انظر المقدمة الرائعة التي كتبها سيد قطب في أول كتابه «خصائص التصور الإسلامي».

تقسيم الـدور إلى دار إسلام ودار كفر. . وهناك من يمنع الرق و «يتلمس» المعاذير لدين الله ـ عز وجل ـ! وكأن دين الله ـ تعالى ـ في محل اتهام ويحتاج إلى تبرئة من تلك الدعاوى[٩].

٤ ـ انكار حد الردة بدعوى حرية الفكر والرأي و «الانفتاح الفكري» [!][١٠]

٥ ـ استبـاحـة الاختـلاط بين الـرجـال والنسـاء، وتهوين الحجاب الشرعي، والتساهل في شأنه، وإباحة بعض أنواع الربا وصوره كربا الفضل والغير المضاعف[١١].

٦ ـ عدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد بدعوى أنه لا يفيد العلم.

٧ ـ إنكـار بعض المعجـزات النبـوية وكـرامـات الصالحين

---

(٩) لقد تحدث د. علي العلياني في كتابه «أهمية الجهاد» عن تلك الدعاوى ونقدها بشيء من التفصيل والبيان.

(١٠) انظر كتاب دراسات في السيرة لمحمد سرور زين العابدين، وكتاب تنبيه الأنام لمخالفة شلتوت الإسلام للشيخ عبدالله بن يابس ـ رحمه الله ـ، حيث نقدا هذه الفكرة الخاطئة.

(١١) انظر كتاب العصريون معتزلة اليوم ليوسف كمال.

وبعض الغيبيات، أو تأويلها تأويلًا يأباه النص كموقفهم من نزول المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ والملائكة والجن، والطير الأبابيل، وظهور الدجال في آخر الزمان(١٢).

٨ ـ الدعوة إلى «تطوير الإسلام، والاجتهاد الغير منضبط بضوابط الشرع . . والقياس الموسع [!] وتطوير دين الإسلام بأصوله أو فروعه كما قوع من محمد إقبال، ومحمد فتحي عثمان، وأمين الخولي، ومحمود الشرقاوي، وحسن الترابي وغيرهم(١٣).

كما أن في هؤلاء من يدعو إلى فتح باب الحوار ـ وعلى مصراعيه ـ مع الأطراف الأخرى من أصحاب الاتجاهات

---

(١٢) انظر كتاب منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي، وكتاب دراسات في السيرة النبوية لمحمد سرور زين العابدين.

(١٣) انظر كتاب مفهوم تجديد الدين لبسطامي محمد سعيد، ومجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام، العدد الخامس مقال الفلسفة وأثرها في أصول الدين لمحمد رشاد خليل ص٢٤٩ ـ ٣٢١، وانظر كتاب تجديد أصول الفقه للترابي، وكتاب العصريون معتزلة اليوم ليوسف كمال.

المنحرفة كالعلمانيين أو اليساريين أو الرافضة أو النصارى ونحوهم، وكل ذلك بدعوى إثراء الفكر، وأن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية، وقد ظهر في بعض تلك الملتقيات محاولات متكلفة للتقريب بين أفكار متباينة، والسعي إلى الالتقاء في منتصف الطريق عن طريق بعض التنازلات والمداهنات.

وفي الختام أوصي نفسي وإخواني من أهل الإسلام الأصيل أن يتمسكوا ـ وبعلم وبصيرة ـ بعقيدة السلف الصالح، وأن يتفقهوا في دين الله ـ عز وجل ـ، وأن نسعى ونتواصى لترسيخ الولاء والانتماء لمنهج أهل السنة والجماعة مهما كانوا وأيًا كانوا، كما أنه يتعين علينا فقه واقعنا الحاضر، وأن ندرك بوعي وحذر وبعد نظر حقيقة هذا الاتجاه العقلاني، فنرصد كتبهم ومؤتمراتهم ومجلاتهم، ثم نكشفها أمام المسلمين، ونحذر من ضلالهم وزيفهم، وعلينا واجب النصيحة تجاه من انخدع بهذا المسلك «المتحرر» من ضوابط الشريعة، وأن نناقشهم طلبًا للحق، وندعوا لهم بالهداية والاستقامة، فأهل السنة ـ كما هو معلوم يعرفون الحق ويرحمون الخلق، وأسأل الله ـ عز وجل ـ أن يوفق الجميع لما

يحبه الله ويرضاه وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[١٤].

---

(١٤) من باب الفائدة لك - أخي القارىء - فإليك بعض الكتب الجيدة التي تحدثت عن هذا المنهج العقلاني على سبيل العرض والنقد: - المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبدالحليم/ ومفهوم تجديد الدين لبسطامي محمد سعيد/ ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي/ ودراسات في السيرة النبوية لمحمد زين العابدين/ والولاء والبراء لمحمد القحطاني/ وأهمية الجهاد لعلي العلياني/ والعصريون معتزلة اليوم ليوسف كمال/ والإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين رحمه الله/ ومذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب/ والفكر الإسلامي المعاصر لغازي التوبة/ والمستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة لعابد السفياني/. وغزو من الداخل لجمال سلطان.

الفهـرس